المصطلح النقدي عند عبد الكريم النهشلي بين الاتباع والابداع

د/رويدي عدلان
قسم اللغة والأدب العربي
كلية الآداب واللغات-جامعة جيجل

الملخص:

يحاول هذا المقال إلقاء الضوء على المصطلح النقدي في النقد المغربي القديم، وهذا من خلال جهود النهشلي في وضع المصطلح النقدي، وآرائه المتعددة حول بعض القضايا النقدية التي طرحت في الساحة النقدية المغربية، من خلال كتبه النقدية.

الكلمات المفتاحية: المصطلح-النقد-الأصالة-الكلمة-المعنى.

Abstract :

This article treats the isse of the criticTerm to Anahchali ; betweenoriginality and Imitation. Through hiscritical blogs and the aim of this article is to put highligent on the mostcritical Issues raised by Anahchalisuch : the ease of thefts ; and the Issue of words and meaning and other issues. In order to accersthe characteristics and features of thiscritic..

Key words :Term-critic-originality-word-the meaninig.

تمهيد:

من الصعب الوقوف على بداية نشأة الحركة النقدية في بلاد المغرب العربي والمغرب الأوسط على وجه الخصوص، وذلك لقلة المصادر التاريخية، وتوزع النقد على العديد من الميادين المعرفية مثل كتب التاريخ والرحلة وعلم الأصول والفقه وشرح الحديث والإعجاز القرآني ...إلخ.بالإضافة إلى افتقاد البيئة المغربية إلى مدونات نقدية تقوم بعملية حصر للإنتاج النقدي، اللهم حالة كتاب العمدة، الذي بدوره لم يضف إلاّ الآراء النقدية لمعاصريه وأساتذته، فاقتصر النقد في غالبه على الجوانب البديعية والشروحات الخاصة بالقصائد المشهورة كشرح لامية العرب والعجم وشروح المتنبي، هذا إذا أضفنا عنصرا آخر مهم وهو ارتباط النقد بالحديث والتفسير والإعجاز على اعتبار أن البيئة المغربية عموما بيئة فقهية، بالإضافة إلى هذا ارتبطت الحركة النقدية بالتنظير للأدب أكثر منه إلى التطبيق ونلمح هذا مع ابن خلدون خصوصا، وإذا بحثنا عن قلة النقد في هذه البيئة فنجده راجع لعدة أسباب خصوصا

عدم الاستقرار السياسي والصراعات التي عرفتها المنطقة عبر الأزمنة، والاختلاف المذهبي بين المناطق المختلفة لبيئة المغرب، والاهتمام بالعلوم الدينية، هذا الذي أدى إلى ضياع الكثير من الجهود النقدية.

وفي خضم هذه المتغيرات يصعب الوقوف على البدايات الأولى لنشأة النقد في بلاد المغرب ، لكن الدارسين يصنفون عبد الكريم النهشلي ضمن المحاولات الأولى لتأسيس النقد الأدبي في المغرب العربي والجزائر بصفة خاصة، رغم وجود بعض الروايات التي يشك في صحتها، والتي تضع ابن المدبر صاحب الرسالة العذراء كأول رسالة نقدية في النقد المغربي القديم وهو من رجال القرن الثالث للهجرة وقد عاصر الجاحظ، ورسالته هاته تتعلق بالبلاغة وعلم الكلام وعلم التوحيد والمنطق الأرسطي، لكن رغم ريادة النهشلي في مجال النقد إلاّ أنه يبقى ناقدا غير معروف في الوسط النقدي المغربي، نظرا لقلة المدونات والكتب التي ترجمت له ودونت بعض آرائه النقدية.

فمن هو عبد الكريم النهشلي؟ وما هي أهم مؤلفاته؟ وماهي جوانب الأصالة في نقده؟وكيف أثر في تلامذته؟

1-عبد الكريم النهشلي حياته وآثاره:

إنّ ما يجدر الإشارة إليه أولا هو قلة الكتب التي عرّفت بهذه الشخصية النقدية، ربما ما عدا كتاب "مسالك الأبصار" لابن فضل الله العمري، وكتاب "أنموذج الزمان في شعراء القيروان" و"العمدة" لابن رشيق المسيلي، فمن خلال هذه الكتب نجد شيئا ما عن شخصية النهشلي وجهوده في مجال النقد والأدب، والبيئة التي نشأ فيها خصوصا المسيلة التي كانت تمثل حاضرة العلم والأدب في وقته، لما كان يلقاه الأدباء هناك من تشجيع من الخلفاء والأمراء، وأخص بالذكر الأمير جعفر بن علي بن حمدون، وازداد هذا الازدهار خصوصا مع إقبال بعض الشعراء الكبار على هذه المنطقة ومنهم ابن هانىء الأندلسي الشاعر الكبير الذي جاء من بلاد الأندلس، هذا الذي خلق حركة أدبية و نقدية مزدهرة وقوية، مكنت النهشلي من البروز على مستوى هذه الساحة، ونصّبته رائدا تأسيسيا للنقد الأدبي في بيئة المغرب العربي والجزائر، ويمكن أن نقدم تعريفا موجزا حول هذه الشخصية

"فهو أبو مُحَّد بن عبد الكريم بن إبراهيم النهشلي الجزائري المتوفى بالمهدية من بلاد افريقية سنة 405 هـ، كان أديبا كبيرا عارفا باللغة، خبيرا بأيام العرب وأشعارها، شاعرا مجيدا، وكانت فيه غفلة شديدة عمّا سوى الأدب"[1]، قضى شبابه بالمسيلة لينتقل بعدها إلى القيروان وكانت أنذاك حاضرة العلم والثقافة والأدب والسياسة، فوجد ترحيبا كبيرا من شيوخها وأمرائها، وبسرعة بدأ نجمه يلمع في الشعر والأدب والنقد " فقد قال في مختلف الأغراض الشعرية في الوصف والرثاء والمدح والتغني بالوطن"[2]، وقد عرف ببلاهته"قال له بعض إخوانه : الناس يزعمون أنك أبله، فقال: هم البله هل أنا ابله في صناعتي؟ فقال: لا. فقال فما على الصائغ أن يكون نساجا، ولم يهج أحدا قط"[3]. كان على دراية كبيرة بأصول القول الشعري، ومعرفة كبيرة بالنحو والصرف والتاريخ.

"وقد كان المترجم صاحب ذوق أدبي ممتاز أعجب به ابن رشيق كثيرا. واهتم بآرائه النقدية كما اهتم بشعره، وقد انتفع بما حفظه من آرائه وأفكاره في الأدب"[4]، وممّا ساعده على ذلك اشتغاله ككاتب لتميم ابن باديس، فكان أقرب إلى النثر والنقد منه إلى الشعر، فكانت وجهته هذا الجانب.

وقد أشار ابن رشيق إلى الكثيرمن آراء أستاذه في كتابه العمدة، كما لمّح إلى منهجه النقدي، الذي كان يعتمد في كثير من الأحيان الأساس الأخلاقي، يقول فيه تلميذه ابن رشيق: "كان شاعرا مقدما عارفا باللغة خبيرا بأيام العرب وأشعارها بصيرا بوقائعها وآثارها"[5]، هذا الذي خلق بعد ذلك ناقدا حصيفا وأديبا مفلقا.

أمّا فيما يتعلق بمؤلفاته فإن أغلبها قد ضاع ، فقد ذكر ابن رشيق أن للنهشلي عدة تآليف لكنه لم يعطي أسماءها ولم يصلنا إلاّ كتابه النقدي المهم "الممتع في علم النقد وعمله"، هذا الكتاب الذي طبع من طرف الدار العربية – تونس و ليبيا- 1978،حيث قام بتحقيقه منجي الكعبي، وهذا الكتاب بدوره لم يصلنا كاملا، وإنما وصلنا منه أهم المختارات التي سميت فيما بعد"إختيار الممتع في علم الشعر وعمله"،التي قام أحد النقاد المجهولين باختصارها من الكتاب الأصلي، الأمر الذي لا يمكننا من رسم صورة متكاملة واضحة المعالم للخطاب النقدي عند النهشلي، ومن هذا الكتاب (اختيار الممتع في علم الشعر وعمله) يمكننا أن نستخرج أغلب آراء هذا الناقد في مختلف القضايا النقدية ، من خلال "بعض النصوص التي اختصت بهذه القضايا"[6]، كما يكشف لنا هذا الكتاب عن منهجه النقدي، وجوانب الأصالة في نقده، ومن هنا يمكننا الاشتغال على أهم المسائل والقضايا النقدية عند عبد الكريم النهشلي المسيلي الجزائري والتي شملت الجوانب المتعددة التي تخص العملية الإبداعية وعناصرها الأساسية، ويمكن اختصارها فيمايلي:

2-في مصطلح الشعر وأسبقيته عن النثر:

ينفرد الشيخ عبد الكريم النهشلي في تعريفه للشعر عن بقية النقاد الآخرين، فيورد تعريفا مختلفا يبين عن نظرة ثاقبة في جوهر العمل الإبداعي وهذا في إطار حديثه عن أسبقية النثر على الشعر فيقول: "وكان الكلام كله منثورا فاحتاجت العرب إلى الغناء بمكارم أخلاقها وطيب أعراقها وذكر أيامها الصالحة وأوطانها النازحة وفرسانها الأنجاد(...)فتوهموا أعاريض جعلوها موازين الكلام فلما تم لهم وزنه سموه شعرا لأنهم شعروا به أي فطنوا"[7].

فالشعر عند النهشلي يعني الفطنة أي الحذق والمهارة والذكاء، وهو مشتق من الشعور، الذي بدوره يعني الفطنة والنباهة، يقول النهشلي: "والشعر عندهم الفطنة، ومعنى قولهم ليت شعري: أي ليت فطنتي"[8].

والنهشلي يفضل الشعر على النثر لأنه أبلغ من حيث البيان، وهو يمثل ديوان العرب المأثور، وكلامها المشهور الذي يحفظ أعراضهم، ويقيهم شر أعدائهم كما يؤدي وظائف أخرى عديدة تتعلق بقوة التأثير في أذهان المتلقين فيلعب على أوتار عواطفهم وأحاسيسهم ويخلق الراحة في قلوبهم.

3-أقسام الشعر:

وضع عبد الكريمالنهشلي تقسيما خاصا للشعر يتماشى وطبيعة الأعراف الاجتماعية والأخلاق الإسلامية، فقد قسم الشعر ووضع له تصنيفا فريدا، فقال فيما أورده عنه تلميذه ابن رشيق في العمدة ما يلي:

"الشعر أربعة أصناف، فشعر هو خير كله:وذلك ما كان في باب الزهد والمواعظ الحسنة، والمثل العائد على من تمثل به الخير وما أشبه ذلك، وشعر هو ظرف كله وذلك هو القول في الأصناف والنعوت والتشبيه وما يفتن به من النعوت والمعاني والآداب. وشعر هو شر كله: وذلك هو الهجاء وما تسرع به الشاعر إلى أعراض الناس. وشعر يتكسب به وذلكأن يحمل إلى كل سوق ما ينفق فيها، ويخاطب كل إنسان من حيث هو، ويأتي إليه من جهة فهمه"[9].

فالقسم الأول من هذا الشعر يصنف ضمن الخير كله ويسمى باب الزهد و المواعظ والمثل العائد على من تمثل به الخير، وهو هنا يضع الصفات المختلفة التي تدخل تحت لواء الخير"كما هو الشأن في غرض الزهد الذي يلجأ إليه الشعراء إلاّ في حالات خاصة تكون ناتجة عن صفاء النفس وتساميها وتوبتها إلى بارئها سبحانه وتعالى"[10]، أمّا الصنف الثاني وهو شعر ظرف كله، فهو إلى جانب الشعر الذي هو في منزلة ، هناك شعر آخر لا يقل شأنا عن الشعر الأول، ويتميز بجمال فني أخاذ لما يحمله من صفات وتشبيهات وصور فنية جميلة، كما تجلى لنا في القصائد الجاهلية للشعر العربي القديم، "وليست أنواع النعوت والتشبيهات وحدها هي التي استرعت انتباه الناقد، بل كل ما يدخل تحت هذا الباب من روعة المثل وجمال الحكمة وصدق الوصف" [11]، وهذا يتجلى لنا خصوصا في قصائد شعراء صدر الإسلام.

وشعر هو شر كله وهو ما يخص باب الهجاء المقذع الذي يخوض في أعراض الناس وأنسابهم، وهو في هذا الحكم يستند إلى أساس نقدي أخلاقي محظ، يتماشى وتعاليم العقيدة الإسلامية والقرآن الكريم، مصداقا لقوله تعالى والقرآن الكريم، مصداقا لقوله تعالى " يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا من هن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون"[12].

فكل شعر يمس بالآخرين أو يظلمهم أو يحط من قيمتهم فهو مذموم لا يرضاه الله تعالى ولاعباده فهذا الشعر مرفوض في الإسلام.

وشعر يتكسب به: يحمل إلى كل سوق ما ينفق فيها يخاطب كل إنسان من حيث هو يأتي إليه من جهة فهمه، وهو هنا يقدم ملاحظات خاصة لشعراء المدح الذين ينالون الهبات والأموال من الناس حتى يتقوا ألسنتهم السليطة والحادة، كما هو الشأن مع بشار بن برد وبعض شعراء الموالي.

ومن خلال هذا التصور لأقسام الشعر يتضح جليا الأساس الأخلاقي في نقد النهشلي لكنه ليس الأساس الوحيد في أحكامه النقدية، فهو من جهة أخرى يستند إلى أساس فني يراعي فيه الصدق في العواطف والأحاسيس وتجنب كل مظاهر التكسب في الشعر لأنه سيفقده روحه وجماله.

4-أغراض الشعر عند النهشلي:

حدد النهشلي أغراض الشعر من خلال حديثه عن أقسامه،وقد حسره في أربعة أغراض وكل منها يتفرع إلى أغراض أخرى، حيث يقول: "يجمع أصناف الشعر أربعة: المديح والهجاء والحكمة واللهو ثم يتفرع من كل صنف من ذلك فنون، فيكون من المديح المراثيوالإفتخار والشكر، ويكون من الهجاء الذم والعتاب والاستبطاء، ويكون من الحكمة الأمثال والتزهد والمواعظ، ويكون من اللهو الغزل والطرد وصفة الخمر والمخمور"[(13)]. وهو في تقسيمه هذا يراعي كما أسلفنا سابقا الأساس الأخلاقي، وهو بهذا التقسيم "يحاول أن يثبت آرائه النقدية المتعلقة بتقسيم موضوعات الشعر العربي إلى أصول وفروع"[(14)]، فالنهشلي بهذا التقسيم أبدع وفصّل في الموضوع، ولم يكن مستعرضا فقط لآراء النقاد السابقين وإن تأثر في تقسيمه بهم، خصوصا قدامة بن جعفر.

5-أثر البيئة في الإبداع الشعري:

أشار النهشلي إلى قضية مهمة تتعلق بتأثير البيئة على الشعراء وفي شحد قرائحهم وهذه النقطة ليست جديدة في النقد المشرقي، فقد أشار إليها ابن سلام الجمحي كما أشار إليها ابن قتيبة والجاحظ وعدد كبير من النقاد ، لكن النهشلي تناولها بشيء من التفصيل والتحليل، فيكون بذلك قد سبق نقاد المنهج التاريخي وفي مقدمتهم هيبوليت تين وسانت بوف في وضعهم لقانون البيئة والزمن والجنس، وقد تناول هذا الموضوع من خلال تطرقه للعادات والتقاليد، فيجعل من العرف السائد عند البلد المعين مقياسا مهما من مقاييس النقد، وهو مقياس موضوعي غير ذاتي قوامه الذوق والعرف الفني الجمعي (البيئة) ينقل له ابن رشيق في العمدة قوله: "قد تختلف المقامات والأزمنة والبلاد، فيحسن في وقت ما لا يحسن في آخر، ويستحسن عند أهل بلد ما لا يستحسن عند أهل غيره. ونجد الشعراء الحذاق تقابل كل زمان بما استجيد فيه وكثر استعماله عند أهله، بعد ألاّ تخرج من حسن الاستواء، وحدّ الاعتدال وجودة الصنعة. وربما استعملت في بلد ألفاظ لا تستعمل كثيرا في غيره: كاستعمال أهل البصرة بعض كلام أهل فارس في أشعارهم ونوادرحكاياتهم. قال: والذي أختاره أنا التجويد والتحسين الذي يختاره علماء الناس بالشعر، ويبقى غابره على الدهر، ويبعد عن الوحشي المستكره، ويرتفع عن المولد المنتحل، ويتضمن المثل السائر، والتشبيه المصيب، والاستعارة الحسنة"[(15)].

ومن خلال هذا النص نلمح بعض ملامح النظرة الموضوعية عند النهشلي، حيث أشار إلى تأثير العوامل الطبيعية على أذواق الشعراء، وهذا عبر ثنائية الزمان والمكان، فالذوق يختلف عبر الأزمنة والأمكنة، ومن ثم تأثر في اختيار

الموضوعات الشعرية، "وعلى الشعراء الحذاق إذن أن يراعوا هذا التفاوت والتغاير في أشعارهم فيواكبوا الأحداث ويسبقوها ويتمثلوا وقائعها حتى يكون شعرهم صالحا لكل مصر ولكل زمان "[16]،كما نلمس في كلامه هذا نظرة الخبير الأنثروبولوجي بالمعنى المعاصر، حيث أشار إلى قضية الألفاظ والعبارات المتداولة في نطاق بيئة معينة وضرب مثالا بلغة أهل البصرة التي كانت ممزوجة باللألفاظ الفارسية، وبعد كل هذا يقدم رأيه النقدي الخاص به حول ما يتعلق بجودة العمل الشعري، وما يجب أن تتوفر فيه من شروط حتى يرتقي إلى مصاف النصوص الراقية "فلابدّ أن يتضمن المثل السائر والتشبيه الدقيق المبتدع والاستعارة الصافية"[17].

هذه أهم أقسام الشعر عند النهشلي والتي حاول من خلالها أن يقدم صورة واضحة حول مضامين القصيدة الشعرية وشروط جودتها، منتهجا في ذلك نهجا أخلاقيا من دون إغفال الجوانب الفنية والجمالية داخل النص الشعري، "وهكذا تكون نظرة النهشلي إلى تصنيف الشعر شاملة جمعت بين النظرة السلفية الأخلاقية، وبين النظرة المعاصرةالجديدة بالنسبة لزمانه"[18]، وهذا يظهر مدى عبقرية هذا الناقد في تلك المرحلة المتقدمة من تاريخ النقد المغربي القديم والجزائري بصفة خاصة.

6-مصطلح اللفظ والمعنى عند النهشلي:

يعتبر هذا المصطلح من المصطلحات الأكثر تداولا في المدونات النقدية القديمة،ومن القضايا التي كثر الخوض فيها في النقد القديم، فقد أثارها النقاد اليونانيون قديما خصوصا مع سقراط وأفلاطون وأرسطو، كما لقيت نصيبا وافرا من البحث والدراسة في النقد العربي القديم "وكثر الحديث من طرف النقاد عن المعاني والألفاظ في الشعر، المعاني بما فيها من أفكار وعواطف وخواطر وأخيلة، والألفاظ بما فيها من كلمات وجمل وتعابير"[19].

وقد تناولالنهشلي هذا المصطلحكقضية نقدية، وفصّل في هذا المصطلح تفصيلا دقيقا، لكنه على غرارالنقاد المشارقة القدامى ينحاز إلى اللفظ،فهو عنده أشرف من المعنى ومقدم عليه، فقد أورد ابن رشيق نصا له في هذا الموضوع حيث يقول: "الكلام الجزل أغنى عن المعاني اللطيفة من المعاني اللطيفة عن الكلام الجزل"[20]، أي يمكن تفضيل اللفظ على المعنى والشعر أحوج إليهما معا، "فالكلام الجزل هو الألفاظ القوية المعبرة وإذا كان البيت الشعري يحتوي على كلام جزل فذلك يغنيه عن المعاني الجميلة اللطيفة وليس العكس ، فالمعاني اللطيفة إذا وجدت في القصيدة فإنها لا تغني عن الألفاظ الجزلة المعبرة"[21]، فالعملية الإبداعية حسبه تحتاج إلى الصياغة اللفظية الجيدة قبل المعاني ، ويشهد عليه تلميذه ابن رشيق في هذه المسألة حين يقول: "وكان عبد الكريم يؤثر اللفظ على المعنى كثيرا في شعره وتآليفه"[22]، ولكن تعصبه لجانب اللفظ لم يمنعه من أن "يورد آراء غيره بكل نزاهة ولو كان ذلك يخالف رأيه"[23]، وقد نقل رأي بعض الحذاق من النقاد وعبر عنه هو: "قال بعض الحذاق: المعنى مثال واللفظ حذو، والحذو يتبع المثال، فيتغير بتغيره ويثبت بثباته، ومنه قول العباس بن حسن العلوي في

صفة بليغ: معانيه قوالب لألفاظه...هكذا حكي عبد الكريم"[24]، وهذا الرأي يظهر لنا مرة أخرى موضوعية هذا الناقد.

7-مصطلح السرقات الشعرية:

على غرار المصطلحات النقدية الأخرى لقي هذا المصطلح العناية الكافية عند النهشلي، وهذه القضية نالت حظا وافرا من اهتماماته، حيث يرى أن السرقة بالمعنى وليست باللفظ وهو في هذا مقلد، وقد نقل عنه ابن رشيق نصا موجزا تناول فيه موضوع السرقة حيث قال: "قال عبد الكريم : قالوا السرق في الشعر ما نقل معناه دون لفظه، وأبعد في أخذه على أن من الناس من بعد ذهنه إلاّ عن مثل بيت امرىء القيس وطرفة(...) والسرق أيضا إنما هو في البديع المخترع الذي يختص به الشاعر لا في المعاني المشتركة التي هي جارية في عاداتهم و مستعملة في أمثالهم ومحاوراتهم مما ترتفع الظنة فيه عن الذي يورد أن يقال إنه أخذه من غيره، قال واتكال الشاعر على السرقة بلادة وعجز وتركه كل معنى سبق إليه جهل، ولكن المختار عندي أوسط الحالات"[25]، فالنهشلي هنا يشدد اللهجة على السرقات الأدبية لأنها تشكل خطرا كبيرا على فكر الشاعر وقدراته الإبداعية، لأنّ "الاعتماد على نتاج الآخرين يحجر الفكر ويميت المبادرة ويضيق من فسحة الخيال"[26]، فالمبدع عليه أن يتجنب الأخذ من غيره، وأن يبادر إلى ابتكار المعاني، وهذا ليس بالأمر الهين على أي شاعر، لأن العملية الإبداعية مخاضها عسير ومتعب، "وهكذا يتفق عبد الكريم النهشلي مع النقاد في المشرق في أن السرقة لا تكون إلاّ في المعاني أولا ثم هي في البديع المخترع الذي يختص به شاعر بعينه، وليست في الألفاظ ولا في المعاني المشتركة التي هي جارية على ألسنة الناس ومستعملة في أحاديثهم اليومية العادية و موجودة في أمثالهم وحكمهم"[27]، لذلك على الشاعر أن يعيد الاشتغال على المعاني لكن وفق استراتيجية تمنح للنص بعدا جماليا.

7-مصطلح القديم والحديث:

تناول النهشلي هذا المصطلح كمسألة نقديةوبكل موضوعية وأخلاق علمية، مبتعدا في ذلك عن كل الأهواء الذاتية التي يمكن أن توقعه في الزيغ والخطأ، فلم يكن منحازا لأي فرقة من الفرقتين المتصارعتين، ومقياسه الموضوعي هذا لا يحكم على الشعر بأقدميته كما كان يرى الكثير من النقاد المشارقة، وإنما يحكم على الشعر بمقياس الجودة الفنية، لا وفق معيار الزمن، فلا يهم عنده إن كان هذا الشعر قديما أو حديثا وإنما المهم هو جودته من حيث الصياغة والبناء وجمالية الصورة الشعرية ، وقد أوردنا من قبل نصّا له جاء في كتاب العمدة لتلميذه ابن رشيق، وقد أعجب هذا الأخير به كثيرا فقال: "ولم أر في هذا النوع أحسن من فصل أتى به عبد الكريم بن إبراهيم فإنه قال: قد تختلف المقامات والأزمنة والبلاد فيحسن في وقت مالا يحسن في آخر ويستحسن عند أهل بلد ما لا يستحسن عند أهل غيره ونجد الشعراء الحذاق تقابل كل زمان بما استجيد فيه وكثر استعماله عند

أهله...."[28]، فالمعيار الحقيقي عنده ليس معيار زماني أو مكاني وإنما هو معيار فني جمالي، يقف على جوهر جوانب العملية الإبداعية ، فيبني اختياره على جمال الصياغة الشكلية دون إهمال المعنى.

فيقول: "والذي أختاره أن التجويد والتحسين الذي يختاره علماء الناس بالشعر، ويبقى غابره على الدهر ويبعد عن الوحشي المستكره، ويرتفع عن المولّد المنتحل ويتضمن المثل السائر والتشبيه المصيب والاستعارة الحسنة"[29].

وفي هذا النص يعلن صراحة عن موقفه النقدي الذي يتعلق بالخطاب الشعري، وما يجب توافره فيه من شروط تتعلق بالصناعة الشعرية،"فلا يستميله خطاب شعري لغرض أو لآخر بل لجودته وحسن سبكه"[30]، هكذا أراد النهشلي أن يطلق حكمه الموضوعي دون الخضوع إلى العرف السائد في الساحة النقدية أنذاك.

8-النهشلي والنقد المقارن:

تعتبر هذه المسألة من المسائل الأساسية والمهمة التي تحسب كمزية لشيخ النقاد المغاربة النهشلي، وتعتبر من مواطن الأصالة في نقده، حتى وإن غاب المصطلح في لفظه صراحة، لكنه حضر بالمعنى، وهذا ما يدلّ عن بعد نظره وذكائه في معالجة هذه القضية، و قدرته على تحليل البنية الاجتماعية والفكرية للمجتمعات المختلفة ، فهو يرى أن العرب في أعرافهم التي تخص شعرالغزل تكون الذلة والمسكنة للرجل المفتون و المتماوت، أمّا عند المجتمعات الأعجمية الأخرى فالعكس تماما، لأن المرأة تكون هي الراغبة الطالبة ، وخلفيته هنا هي خلفية أخلاقية تربى عليها المجتمع العربي، وترسخت كبنية فكرية وكعرف أخلاقي وهي إبداء الغيرة على المحارم.

9-النهشلي والنقد التطبيقي:

لم يكن النهشلي مجرد عارض وباسط لآراء غيره من النقاد، ولم يبدي رأيه الشخصي فقط، وإنما خاض في مسائل أخرى تتعلق بالنقد التطبيقي، وذلك من خلال الوقوف على بنية القصائد الشعرية وأجزائها الداخلية، فيبني نقده على الشرح للبنى الإفرادية والتركيبية داخل النص الشعري، فيلج إلى تراكيب الجملة ثم يفصل في المعنى ويوضحه، وبعدها يبدي رأيه فيه في روية واتزان وتريث وتحفظ، دون إغفال للجماليات الأخرى.

وقد كانت له عدة تحاليل صائبة لمجموعة من الأبيات الشعرية لشعراء مختلفين من حيث الأزمنة ومنها قصيدة حسان بن ثابت في مدح الغساسنة، التي أبان فيها النهشلي عن بعد في النظر وذوق قوي وحسّ نقدي صاف أهله لأن يكون قدوة للنقاد الذين جاءوا بعده خصوصا تلميذه ابن رشيق الذي تبنى بعض آرائه الصائبة.

خاتمة:

ممن خلال هذه الرحلة العلمية في تاريخ النقد الجزائري القديم يمكننا أن نستخرج جملة من النتائج التي تتعلق بآراء ومواقف النهشلي من مختلف المسائل والقضايا النقدية ويمكن إجمالها فيما يلي:

-يمثل شيخ النقاد المغاربة عبد الكريم النهشلي المرحلة التأسيسية والتأصيلية للنقد المغربي القديم، بحكم أحكامه الصائبة ومواقفه المتزنة، اتجاه المسائل النقدية المطروحة في ذلك الحين، والتي أظهرت قوة بصيرة هذا الناقد ونظره الثاقب إلى كل جزئيات العملية الإبداعية، فلم يكن مجرد مقلد لآراء النقاد المشارقة ومواقفهم فقط، بل أبدع مجموعة من الأفكار التي تحتسب له، فكان نقده في ذلك أصيلا.

-كان النهشلي يعتمد مقاييس موضوعية في إبداء آرائه في بعض المسائل المعقدة خصوصا التي عرفت جدلا كبيرا بين النقاد أنذاك، فكان يتجنب الأحكام الذاتية المسبقة، والتعصب إلى مذهب دون الآخر، فكان يستند إلى العقل في إصدار مواقفه لذلك كانت آرائه دقيقة وصائبة.

-كان النهشلي يتجنب الإطناب في إصدار أحكامه النقدية ويفضل الإيجاز، حتى في بعض المواضع التي تتطلب منه الشرح والتحليل وهذا يأخذ عليه، إن تأكد فعلا صدق هذا الرأي لأن كتابه الممتع قد ضاع.

-كانالنهشلي يمارس النقد التطبيقي ولا يكتفي بإبداء الآراء النظرية فقط، لذلك حاول المزج بين ماهو نظري وما هو تطبيقي بالاستناد إلى حسه الذوقي الصافي وبصيرته القوية في إدراك أسرار العملية الإبداعية.

- الهوامش:

1-رابح بونار: المغرب العربي تاريخه وثقافته، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر،(د.ط)،(دت)، ص293.

2-بشير خلدون: الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي، وزارة الثقافة،الجزائر،(د.ط)،2007، ص 55.

3-رابح بونار: المرجع السابق، ص294.

4-المرجع نفسه والصفحة نفسها.

5-ابن رشيقالمسيلي: أنموذج الزمان من شعراء القيروان، تح: محمد العروسي المطوي-بشير البكوش، الدار التونسية للنشر-المؤسسة الوطنية للكتاب، تونس – الجزائر،1986، ص170.

6-بشير خلدون: المرجع السابق، ص56.

7-الحسن بن رشيق المسيلي: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج1، تح: محيي الدين عبد الحميد،دار الرشاد الحديثة، الدارالبيضاء، المغرب، (د.ط)، (د.ت)، ص56.

8-عبد الكريمالنهشلي: الممتع في علم الشعر وعمله،تح: منجي الكعبي، الدار العربية للكتاب، ليبيا-تونس، 1978، ص24

9-الحسن بن رشيق المسيلي: المصدر السابق، ص118.

10-محمد مرتاض: النقد الأدبي القديم في المغرب العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، (د.ط)، 2000، ص46.

11-المرجع نفسه، ص47.

12-سورة الحجرات، الآية 11.

13-الحسن بن رشيق المسيلي: المصدر السابق، ص121.

14-محمد مرتاض: المرجع السابق، ص 173.

15-الحسن بن رشيق المسيلي: المصدر السابق، ص93.

16-بشير خلدون: المرجع السابق، ص82.

17-محمد مرتاض: المرجع السابق، ص51.

18-بشير خلدون المرجع السابق، ص83.

19-المرجع نفسه، ص 169.

20-الحسن بن رشيق المسيلي: المصدر السابق، ص127.

21-بشير خلدون: المرجع السابق، ص 172.

22-الحسن بن رشيق المسيلي: المصدر السابق، ص 127.

23-بشير خلدون: المرجع السابق، ص 172.
24-الحسن بن رشيق المسيلي: المصدر السابق، ص127.
25-المصدر نفسه، ص281.
26-محمد مرتاض: المرجع السابق، ص .104
27-بشير خلدون: المرجع السابق، ص 223.
28-الحسن بن رشيق المسيلي: المصدر السابق، ص 93.
29-المصدر نفسه، ص 93.
30-محمد مرتاض: المرجع السابق، ص 81.